



## The Role of Religious Thought in the Construction of Civilization from the Perspective of Malek Bennabi -An Analytical Reading- Dr. maria tounsi 1

1: Higher Normal School of Mostaganem, Algeria, [mariatounsi88@hotmail.com](mailto:mariatounsi88@hotmail.com)

### Abstract:

The idea of the article revolved around the views of the nonesuch scholar Malik bin Nabi, who considered the religious idea as one of the most important motives for building human civilization, and one of the components of its basic structure. From a psychological point of view, He considered the religious idea as a method that deals with the event as a phenomenon whose examination helps us uncover its core, and perhaps guides us to its law. Ibn Nabi also explains the effective positive role of the religious idea in the establishment of historical facts. Where he demonstrates how this very idea stipulates the individual's behavior, and how it organically organizes his instincts in accordance to its function in building civilizations.

**Keywords:** Malik bin Nabi, religious idea, building civilization, historical facts.

**Received:** 28 Jan 2026

**Accepted:** 01 Mar 2026

**Published:** 28 May 2026

وقع الفكرة الدينية في بناء الحضارة من منظور مالك بن نبي -قراءة تحليلية-  
د. تونسي مريّة

<sup>1</sup>: المدرسة العليا للأساتذة بمستغانم، الجزائر، [mariatounsi88@hotmail.com](mailto:mariatounsi88@hotmail.com)

### المخلص:

تمحورت فكرة المقال حول آراء العلامة الفدّ مالك بن نبيّ، الذي يعتبر الفكرة الدينية هي إحدى أهمّ الدوافع لبناء الحضارة الإنسانية، كما يرى أنّها تدخل في التركيب الأساسي للحضارة، ومن المنظور النفسي اعتبرها المنهج الذي يتناول الواقعة كظاهرة يرشدنا التحليل إلى جوهرها، وربّما يهدينا إلى قانونها، كما يوضّح ابن نبيّ الدور الإيجابي الفعّال للفكرة الدينية في تركيب الوقائع التاريخية. إذ يبيّن لنا كيف تشترط هذه الفكرة سلوك الفرد وكيف تنظم غرائزه تنظيماً عضوياً في علاقتها الوظيفية ببناء الحضارات .

**الكلمات مفتاحية:** مالك بن نبيّ، الفكرة الدينية، بناء الحضارة، الوقائع التاريخية .

## مقدمة:

إنّ ما عايشه مالك بن نبيّ من صراعات ثقافية ودينية وعقائدية أو حتى تاريخية، بسبب الاستعمار الغربي ومخلفاته على الأمة العربية الإسلامية عموماً وعلى الجزائر خصوصاً جعله شخصاً أكثر نضجاً ووعياً وثورة على الواقع المعيش، أو بعبارة أخرى ساهمت الظروف القاسية التي عاش بها بن نبي في صقل شخصيته وجعله مفكراً.

إنّ نعت بن نبيّ بالمفكر ليس من باب الصدفة ولا من قبيل المجاملة إذ أنّ سيرته العلمية ومؤلفاته الخالدة هي من حددت ذلك وأبت إلاّ أن يوسم ابن نبيّ "بالمفكر الفذ الذي لم يفهم في آوانه".

ولا يسعنا الحديث في هاته الوريقات عن جميع ماخطته أنامل بن نبي من مؤلفات لكون كل فكرة منها تلزمها دراسات عميقة معمقة ووقت كافٍ من ضمير حي ونفس متعطشة للسمو والرقى. لذا فقد اقتصر اختيارنا على أجمل ما كتب بن نبي، في نظر العديد من الدارسين، وهو كتاب "شروط النهضة" إذ حاولنا استنطاق هذا المؤلف الراقي عمّا يجول بداخله من أفكار علّنا نحصل عمّا يشفي غليل بحثنا.

وأثناء رحلة الاستنطاق تلك لفت انتباهنا أنّ فصل "أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة" مضاف فقط في الطبعة الثانية، فارتأينا أن يتمحور بحثنا هذا حوله، كونه أضيف بعد الملاحظات التي قدمت حول الطبعة الأولى، فهو إذن (في رأيينا المتواضع) خلاصة ملاحظات وانتقادات بناءً وسدّ لنقص، إن صحّ التعبير وجاز في ذلك، معتمدين القراءة التحليلية لما ورد فيه من أفكار.

## توطئة:

تدخل الفكرة الدينية في نظر ابن نبيّ في التركيب البيولوجي والتاريخي للحضارة وتناولها في الفصل الذي أشرنا إليه سابقاً من المنظور النفسي كونه "المنهج الذي يتناول واقعة الحضارة لا على أنّها سلسلة من الأحداث يعطينا التاريخ قصتها، بل ك"ظاهرة يرشدنا التحليل إلى جوهرها، وربّما يهدينا إلى قانونها أي إلى سنة الله فيها، هو القادر، فيما اعتقد، على أن يستجلي لنا بطريقة أوضح، الدور الإيجابي الفعّال للفكرة الدينية في تركيب تلك الواقعة. إذ يوضح لنا كيف تشرط هذه الفكرة سلوك الفرد وكيف تنظم غرائزه تنظيمًا عضويًا في علاقتها الوظيفية ببناء إحدى الحضارات"<sup>1</sup>.

تشكل الفكرة الدينيّة المرکّب في كلّ تجديد حضاري أو نهضة حضاريّة، فهي "تتدخل إمّا بطريقة مباشرة، وإمّا بواسطة بديلاتها اللادينيّة نفسها في التركيبة المتألّفة لحضارة ما وفي تشكيل إرادتها"<sup>2</sup>، وإذا كان للحضارة عمرٌ كعمر الطفل، فإنّ المهد الذي تولّد فيه هو الفكرة الدينيّة.

أولى ابن نبي أهميّة للدين في بناء الحضارة، فعده أساس تحريك عجلة التاريخ ونقطة البداية في بناء صرحها؛ لأثره في حركة التاريخ ودوره في حياة الأفراد والمجتمعات... ويستند مالك في رؤيته هذه على وجود عناصر الحضارة الماديّة في عامّة الأمم، وحاجتها لاستثمار هذه الشّروط والتأليف بينها إلى المحرّك أو القادح الذي ينسج عملية البناء والتركيب فيما بينها، ويختار ابن نبيّ -في هذا الإطار- "الفكرة الدينيّة" محرّكة الحضارة وموقدة انطلاقها، ولعلنا نجد تأسيسًا لهذا الإطار عند سابقه ك ابن خلدون في نظريّته عن "العصبية" وتوينبي في نظريّته عن "التّحدي".

إنّ "الفكرة الدينيّة" التي تقف خلف النهوض الحضاري لا تقتصر على مجتمع دون آخر، فسواءً كنّا بصدد المجتمع الإسلاميّ أو المجتمع المسيحيّ أو المجتمعات التي اختفت من الوجود فإننا نستطيع أن نفرّر أن الفكرة التي غرست أثرها في حقل التاريخ ناتجة عن فكرة دينيّة<sup>3</sup>.

ولعلّ أهمّ آثار هذه الفكرة عند ابن نبي فهم العلاقة بين قوّة "الفكرة الدينيّة" وضعفها أثناء نشوء الحضارة وتطوّرها أو أفولها؛ فيتجلّى ذلك في انتقال العقل بسبب قوّة الروح من مرحلة الخمول إلى النهوض وملء مجالات الحياة بالفنون والعلوم والصناعات، إلّا أنه لضعف الروح أمام نهضة العقل تخرج الغرائز عن السيطرة وتتسرّب من المنافذ التي تتيحها المادّة فيتاح لها التمدّد إلى أن تصل إلى مرحلة التعلّوّل في مواجهة "الفكرة الدينيّة"، فتتوقّف آثار هذه الفكرة في المجتمع وتدخل الحضارة ليل التاريخ مُتمّةً بذلك دورتها<sup>4</sup>.

إنّ اهتمام ابن نبي بالجانب الديني يعزى إلى تشبعه بالقيم الإسلاميّة منذ نعومة أظافره، فهاهو يتحدث عن نفسه قائلاً: "وقفت في زاويتي أشرع في الصلاة، وكنت في الركعة الثانية من صلاة العصر أطيل السجود أكثر ممّا يفعل النّاس في الجزائر؛ فهذه عادة حملها الزائر للديار المقدسة حينما تتاح لهم فرصة المرور بالقاهرة والصلاة في مسجد الحسين بالقرب من الأزهر"<sup>5</sup>.

كما أنّ فتوّته وشبابه تزامنا ومرحلة حساسة من تاريخ الجزائر ما أثمر شخصية قويّة، مطلعة مكافحة، مخضرمة إن تسنّى لنا قول ذلك، فقد كان مولده في الجزائر عام 1905، أي في زمن كان يمكن فيه الاتّصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حيّا من شهوده، والإطّلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده<sup>6</sup>. هكذا إذن فقد استفاد بامتياز لاغنى عنه لشاهد، حينما ولد في تلك الفترة".

ساهمت الظروف المحيطة بنشأة ابن نبي مضافة إلى ما حباه الله إياه من ثقافة واطلاع في إبداعاته وتحليله للظواهر الحضارية مزاجاً إياها بالفكرة الدينية واضعاً لهذه الأخيرة حدوداً في تفسير الوقائع التاريخية؛ سنحاول استعراضها تباعاً طوال صفحات هذا المقال.

### -حدود الفكرة الدينية في تفسير الوقائع التاريخية-

يستطرد ابن نبي في ذكر المؤرخين الذين تناولوا دراسة الوقائع التاريخية وربطوها بالتفسير العقلي في إطار معين؛ منهم: "جيزو الذي بدأ علم المؤرخ بفضل (عصر النور) يأخذ عنده صبغة علمية معينة، حال بينها وبين صياغة التفسير الخاص في صورة منهجية مكتملة نوع من التحفظ الديكارتية"<sup>7</sup>.

أما ابن خلدون، حسب ابن نبي دائماً، "فقد تمكن من اكتشاف منطق التاريخ في مجرى أحداثه، فكان بهذا المؤرخ الأول الذي قام بالبحث عن هذا المنطق إذا لم نقل أنه قد قام بصياغته فعلاً. فقد كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدورة التاريخية لولا أن مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج معين من منتوجات الحضارة ونعني به الدولة- وليس الحضارة نفسها"<sup>8</sup>.

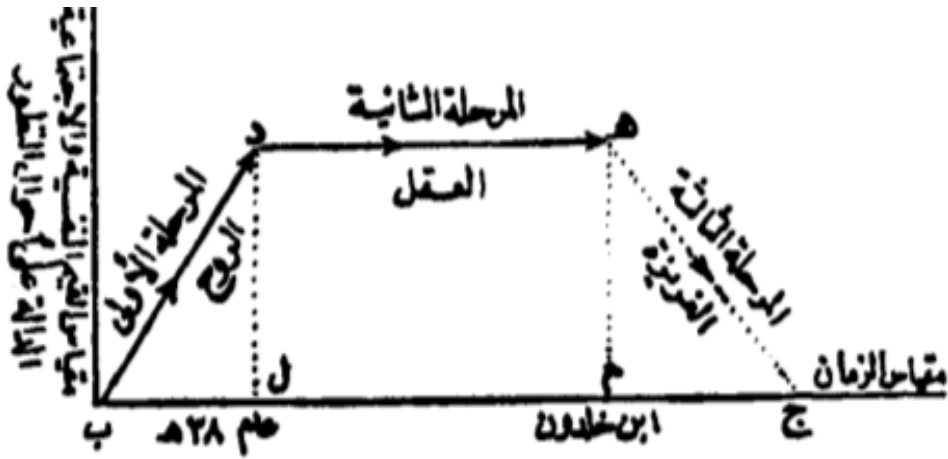
ليتجه ملهمنا ابن نبي بعد هذا إلى العالم الغربي -الأوروبي بالتحديد- ليواصل استعراضه لأهم من أثر به وأثره بدراساته، وكانت البداية بأكثر الأسماء بروزاً في القرن التاسع عشر وهو كارل ماركس، إذ يرى أنه أول من جسّد التفسيرات الاجتماعية في إطار الحضارة، وذلك حين طبّق منطق الجدلية المادية، وبتماشى هذا طبيعياً مع الشروط الاجتماعية الخاصة بأوروبا في عهدها الفكتوري. ويرى ابن نبي أنّ التفسير الماركسي للوقائع التاريخية به ثغرة أحدثها التحليل المفرط في المنهجية لهذه الوقائع.

ويعرّج ابن نبي في القرن العشرين على تفسير "كسرلنج" للحضارة الأوروبية والتي اعتبرها تركيباً مكوناً من روح المسيحية، وتقاليد الجرمانية، وتتطابق هذه الرؤية مع رؤية سالفه، الفيلسوف الفرنسي، "جيزو".

ونظراً لدقته في عرض المعلومة وحرصه على الأمانة التاريخية، وحنكته في إقناع القارئ، فإنّ ابن نبي لم يتوان ولم يتهاون في ذكر جل من أولوا أهمية للدراسات التاريخية، فذكر كلاً ومسعاه منهم: سبنجلر الذي يرى أنّ الحضارة هي ثمرة لعبقرية خاصة، وولتر شوبرت الذي قام بدوره بتكييف سبنجلر وفسّر الحضارة بأنها نتاج عبقرية عصر معين وليس جنس معين كما رأى سابقه،

والسير جون هالفورد الذي أدخل العامل الجغرافي بطريقة منهجية في تفسير الحضارة، والإنجليزي جون أرنولد تونبي الذي اعتبر الحضارة رد معين يقوم به أحد الشعوب أو الأجناس لمواجهة تحد معين على حد قوله.

ويرى ابن نبي بعد سرده لهذه الدراسات أنها لاتعدو أن تكون مجرد نظريات لم تتمكن من إرضائه تمام الرضى كي يستعملها في تفسير واقعه تاريخية، واتخذ الحضارة الإسلامية مثالا لذلك. يحدد ابن نبي الحضارة بحدّين اثنين هما: الميلاد والأفول؛ طور الأفول النازل هو عكس طور النهضة الصاعدة، وبين الطورين يوجد بالضرورة اكتمال معين هو: طور انتشار الحضارة وتوسعها. وترجم هذه الاعتبارات في الصورة التخطيطية الآتية:



وفي قراءة بن نبي للحضارة الإسلامية فإنه يرجعها إلى عاملين أساسين: هما الإنسان المسلم والفكرة الإسلامية، وكل القيم النفسية- الزمنية التي تربط المسلم بفكرته ماهي إلا ترجمة تاريخية للحضارة الإسلامية.

#### - التحليل النفسي والفكرة الدينية:

لجأ ابن نبي إلى "لغة التحليل النفسي بغية تتبّع اطراد الحضارة باعتباره صورة زمنية للأفعال وردود الأفعال المتبادلة والتي تتولد منذ مطلع هذا الإطراد بين الفرد والفكرة الدينية التي تتبعث فيه الحركة والنشاط. وعندما نعتبر الفرد عند نقطة الصفر في الصورة التخطيطية، فإننا نجده في الحالة التي يعرفها بعض المؤرخين المسلمين بـ"الفطرة"، مع جميع غرائزه كما وهبته إياها الطبيعة، فالفرد

في هذه الحالة ليس أساسه إلا "الإنسان الطبيعي"<sup>9</sup>، غير أن الفكرة الدينية سوف تتولى إخضاع غرائزه إلى "عملية شرطية تسمى الكبت".

وتلعب الفكرة الدينية دورا فعالا في تهذيب الغرائز الحيوانية للفرد ما يجعله يمارس حياته حسب قانون الروح، هذا القانون الذي يقوي العزيمة ويقوي النفس ويجعلها تصمد أمام المكاره والمصاعب، ويضرب ابن نبي المثال بلال بن رباح رضي الله عنه وأرضاه حين صمد أمام تعذيب أمية بن خلف، عليه من الله ما يستحق، له إذ أن بلالا ظل يردد "أحد، أحد" وهو يرفع سبابته.

ثم ما فتى ابن نبي أن أسقط مثال بلال على المجتمع الإسلامي ككل، فهو مجتمع لم يكن محكوما بمنطق العقل ولا بأهواء الغريزة، وإنما حُكم بروحية المنطق. وسمى مالك هذا بالطور الأول من طور الحضارة الإسلامية، الطور الذي روضت فيه الغرائز في نظام خاص.

ولمَّح ابن نبي إلى العصر الأموي بأنه العصر الذي انفلتت فيه الغرائز وفقدت فيه الروح سيطرتها، فكفَّ المجتمع عن ممارسة ضغطه على الفرد<sup>10</sup>.

ويعزي كاتبنا النقص في الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية منذ ولوج الحضارة منعطف العقل، والتحرر التام للعقل والغرائز من سيطرة الفكرة الدينية يؤدي بنا مباشرة إلى مجتمع منحل داخل في ليل التاريخ وبالتالي انتهاء دورة حضارته.

"قدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة، أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين على حد قول "كيسر لنج" كما أنها تنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة أو المكبوحة الجماع<sup>11</sup>".

إنَّ فقد الفكرة الدينية سلطانها على النفوس، دفع الغرائز المكبوتة من قيودها، وعاد بالإنسان إلى مستوى حياة ما قبل الحضارة، واختل نظام الطاقة الحيوية، وفقد الإنسان قيمته الاجتماعية، حيث تخدم، وهذا ما نراه الآن في الأمة الإسلامية، فهي عادت كما كانت قبل الإسلام أمة تهتم بالحياة وملذاتها، أمة فقدت كل هوية إسلامية للأسف وذلك منذ أن حدث الشرخ فيها في معركة «صفين»، وانقسم المسلمون قسمين «الانقسام الثنائي»، فأصبحت الفكرة الدينية تتمثل دينا باتباع علي رضي الله عنه وسياسة باتباع معاوية رضي الله عنه، فالذي يخون الفكرة الدينية ينزل عليه انتقامها<sup>12</sup>.

فالإسلام عند ابن نبي ليس هو الذي فقد قوته، بل المسلمون هم الذين حرفوا فكرة الإسلام فاستحقوا العقاب، والعقاب في واقعنا الآن هو التفكك، والجهل، والتخلف.

ولتبيين الفرق بين العلم الحقيقي القادر على نقل الإنسان لدائرة التحضر يبين الأستاذ مالك بن نبي أنّ الإسلام وفر المناخ النفسي والروحي والاجتماعي المناسب لنمو العلم وازدهاره. فالقرآن الكريم لم يحمل أسرار صناعة الذرة أو غزو الفضاء، ولكنه بث آياته روح وحركية العلم، على العكس من التوراة التي ابتدأت في سفر التكوين على توضيح الظواهر المادية، والإنجيل الذي استفتح على عملية تجسيد الأقانيم الثلاثة، فإن القرآن الكريم بدأ بالعلم والحث عليه، وبذكر أدواته ومناخه الملائم<sup>13</sup>.

يرى ابن نبي "أنّ الإنسان الذي تفسخ حضاريا مخالف تماما للإنسان السابق للحضارة أو الإنسان الفطري"<sup>14</sup>. وذلك أنّ الإنسان المتفسخ صار مستهلكا ومنهكا ولا يمكنه أن يعيد المجد لحضارته أو يهيئ لحضارة جديدة إلا إذا تغير من صلبه، وتغير انهزامه النفسي الذي أصابه بركود وجمود حضارته، ويتوافق هذا مع معنى الآية الكريمة: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>15</sup>.

أما الإنسان الفطري فلا يزال على سجيته وقدرته الكامنة لازالت على حالها، فهو يحتاج دفعة معنوية وبعضا من التأهيل النفسي برعاية دينية كي يفجر مكنوناته الخارقة ويدع في إنتاج حضارته، شرط أن تظل الفكرة الدينية هي المهيمنة فلا يزاحمها عقل ولا غرائز ولا مغريات.

وهذا ما يبين لنا كيف تشرط الفكرة الدينية سلوك الإنسان فتجعله قابلا لإنجاز رسالة "محضرة"، غير أنّ دور الفكرة الدينية لا يقتصر عند هذا الحد، فهي تحلّ لنا مشكلة نفسية-اجتماعية أخرى، ذات أهمية أساسية تتعلق باستمرار الحضارة، فالمجتمع لا يمكنه مواجهة الصعوبات التي يواجهها بها التاريخ كمجتمعي ما لم يكن على بصيرة جلية من هدف جهوده<sup>16</sup>.

ويخلص ابن نبي إلى أنّ الفكرة الدينية التي تشرط سلوك الفرد، تخلق في قلوب المجتمع بحكم غائية معينة، وذلك يمنحها الوعي بهدف معين، تصبح معه الحياة ذات دلالة ومعنى، فإنّها حينئذ تكون قد مكنت لبقاء المجتمع ودوامه وذلك بتثبيتها وضمانها لاستمرار الحضارة<sup>17</sup>.

## الخاتمة:

لم نجد أبلغ وأوفى من هذه المقولة التي نُسبت إلى ابن نبيّ، كي نختم بها ورقتنا البحثية هذه، وسواء صدق نسبها له أم لم يصدق فهي تحاكي واقعا معيشا مريرا، وهي أنّ ابن نبي في آخر حياته قال: "سأعود بعد ثلاثين سنة وسيفهمني الناس". في إشارة منه لتبني أفكاره مستقبلاً. ابن نبي الذي همس بعمق في وعي الأمة الإسلامية مظهرًا أمراضها، واضعًا لها وصفات العلاج، كرّس حياته وجهده وكتاباتة لجيل يدرك تمام الإدراك أنّه لا يفهمه، لذا راهن على الأجيال اللاحقة فنسأل المولى عزّ وجل أن تجد أفكاره صدى أوسع وتنال الآن حقها في التطبيق، لتفخر الأمة الإسلامية جمعاء والجزائر على وجه الخصوص بمن لا يزال يخدمهم ويعمل على النهوض بهم بعد عقود من وفاته.

## -الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1986، ص 61.
- <sup>2</sup> مالك بن نبي: آفاق جزائرية، (ص: 83).
- <sup>3</sup> ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط2، 1974، ص 52.
- <sup>4</sup> ينظر المصدر السابق، (101-104-105).
- <sup>5</sup> مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1984، ص 13 .
- <sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 15.
- <sup>7</sup> شروط النهضة، ص 62.
- <sup>8</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- <sup>9</sup> المصدر نفسه، ص 67.
- <sup>10</sup> بتصرف، المصدر نفسه، ص 69.
- <sup>11</sup> المصدر نفسه، ص 70.
- <sup>12</sup> ولاء أحمد يوسف، الدين والفكرة الدينية عند مالك بن نبي، الجمعة 27 نوفمبر 2015، 07:10، <https://s.alarab.qa/n/719223>
- <sup>13</sup> أسامة خضراوي، كيف نظر مالك بن نبي للمجتمعات المتحضرة، 08-01-2019، 20:47، <https://www.aljazeera.net/author/khadraoui>
- <sup>14</sup> شروط النهضة، ص 70.

<sup>15</sup> سورة الرعد، الآية 11.

<sup>16</sup> شروط النهضة، ص71.

<sup>17</sup> المصدر نفسه، ص72.

### قائمة المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1986.

2- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط2، 1974.

3- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1984.

4- أسامة خضراوي، كيف نظر مالك بن نبي للمجتمعات المتحضرة، 08-01-2019، 20:47

<https://www.aljazeera.net/author/khadraoui>

5- ولاء أحمد يوسف، الدين والفكرة الدينية عند مالك بن نبي، الجمعة 27 نوفمبر 2015، 07:10،

<https://s.alarab.qa/n/719223>